ماجد الشيخ

قراءات فلسطينية

في عرس التحدي

صوت شجري الابعاد يحاورني
من اعماق الارض يجيء
وفعل البدء يكون
واراك ...
اراك تضيئين
دمي نهر
نجمة

واراك ...
اراك تجيئين
تهتزين

وبلادي نهد يتماسك في الليل
ولا ينسكب الان على الرمل
حليب الفعل
وحيفا يسكنها القلب
يضـج بنار الخطوات

وحيفا ام لا تغمض عينيها
لا تتغاضى ...

يا نهد بلادي المسكون
برغبة عشق الارض
وصوت الطفل
يداي تغني
وعصافير البحر
دمي نهر
وسماوات طفولة

* * *

يا رحم التكوين
اراك ...
اراك بذورا
جـذرا
بدرا
وقمر

يا رحم التكوين رؤاي رؤاك
« في اوجههم تعب يكتبه العمر
بثقط الصحراء

يدجنهم ...
فيصيرون رماد الاشياء »

* * *

يا رحم التكوين رؤاي رؤاك
« وطريق تكتبه النار بتاريخ
الغضب المسكون باعماق الارض
وفي قلب الطفل
خطى تزرعها نجمه
وقرانـا ، مـدن المستقبل تطلـع
بسمه »

* * *

يا رحم التكوين اراك
اراك ...
فيك يخب دمي ...
يقرأ اغنية الميلاد ويبسم
« بالنار وتاريخ الغضب الاحمر
يزهر ورد الفقراء
يصير البحر مدى النهر
يصير النهر قراءات
ونوارس موج يتحدى ...
يتحدى وجه التعب النازف
عهرا
وسيوف الردة
وبلادي زهرة حنون تطلع مـن
عرس
يتحدى
يتحدى
يتحدى .

ان هذه الكتلة البشرية الشوهاء هي بقية جدتي ، ورأيتها تفتح عينيهـا بصعوبة ، وادركت من حركة عينيها أنها تريد البقجة ، فتجاهلت رغبتها والالم يعتصر صدري ورأسي اعتصارا ، وسمعت حشرجة صوتها يقـول لي وكأنه آت من أعماق بئر بعيدة القعر :

ـ أعطني البقجة ..

ولم استطع رفض طلبها ، فوضعت البقجة على صدرها وحللـت عقدتها بيد مرتجفة والدموع تتلاحق على خدي ، فمدت يدها وتناولـت بمشقة كبيرة علبة الكافور ثم عقد العقيق ، ثم الكفن الاول فالثاني ... ورأيت عينيها تبحلقان على نحو لا يمكنني نسيانه أبدا ، وسمعتها تصرخ كأنها تتحدى الموت :

ـ أين الكفن الثالث ؟

ثم سكتت لا حركة ولا صوت ، ورأيت أمي ترتبك ارتباكا شديدا ، وهي تحاول تطمينها والتخفيف عنها ، ثم نادت أمي المرأة الغريبة الى خارج الغرفة على عجل فأسرت في اذنها بعض الكلمات ونقدتها مبلغا من المال أخذته المرأة وانصرفت مسرعة ، ورأيت عيني جدتي المغلقتين تعتصران بعض الدمعات الصغار ، فحاولت ببلاهة ، كعادتي في جميع محاولاتي الجادة ، أن أخفف عنها بعض ما تعانيه وسمعتها تهمس :

ـ من سرق كفني يا ولدي ؟ من سرق كفني ؟

وكدت أصرخ ، وشعرت بالازدراء والكراهية نحو أمي ونحو نفسي ونحو الناس جميعا ، كيف أقبل أن تموت جدتي وهي على هذه الحالـة من الاسى والقهر ؟ لماذا لا أخبرها الحقيقة ؟ لماذا لا أجرؤ على طـرد جميع من في الغرفة الى الخارج ؟

وانحنيت على يد جدتي اقبلها مستغفرا باكيا ورحت وأنا منحن على يدها ، في غيبوبة لم أسمع خلالها نداءات أمي والنساء الحاضرات ، ثم رفعت رأسي بعدما أحسست بحركة مخيفة داخل صدر جدتي ، ثم سمعتها تشهق شهقة عميقة أنهت عذابها ، بينما بقي السؤال معلقا على شفتيها الزرقاوين ودفن معها دون ان تحظى بجواب .

صيدا ـ لبنان